مجلة عصور الجديدة- فصلية مصنفة ج- المجلد 11- العدد 1 (مارس) 1442هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

نماذج من شهداء بلا قبور بمنطقة سيدي بلعباس خلال ثورة التحرير الجزائرية (1954-1962)

Examples of martyrs without graves in the region of sidi bel abbes During the Algerian Revolution (1954-1962)

اسم ولقب المؤلف المرسل: عبد الحق كركب- KERKEB Abdelhak صص556-578
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ محاضر أ- جامعة ابن خلدون- تيارت- الجزائر.
البريد الإلكتروني: Kerkeb_abdelhak@yahoo.com

تاريخ استقبال المقال:2020/12/05 تاريخ المراجعة:2021/01/07 تاريخ القبول: 2021/02/08

الملخص: في إطار الحديث عن جرائم السلطات الاستعمارية الفرنسية ضد الشعب الجزائري أثناء الثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962) أردت الإحاطة بجانب معين من تلك الجرائم، والتي تتمثل في شهداء بلا قبور بمنطقة سيدي بلعباس، هي سياسة الإبادة الفردية والجماعية التي انتهجتها فرنسا، وأقامتها تصب في بوتقة إفشال الثورة، وتفريعها من محتواها الشعبي وقطع الصلة بين المجاهدين، وعامة الشعب لمنع المساعدات الضرورية عنهم ونقل الأخبار إليهم، فقد سارعت إلى اقتطاف رأس كل مناضل أو مجاهد وتوقيفه دون جريمة ومحاكمة عادلة إلى تعذيبه والتنكيل به، وإبادته دون تعيين القبر له لقهر عقيدة الحرية لديه.

من الشهداء مَن أماكنهم وشواهدهم معروفة وأخرى مجهولة المدفن، لن يتجاهلهم الزمن ولا التاريخ، نسعى لنحيي ذكراهم ونخلد إعادة كتابة أسمائهم ممن هم دون قبور، لتجمع أرواحهم ورفات أجسادهم الطيبة، وكتابة أسمائهم بأحرف من مسك ونور، لتتعرف عليهم الأجيال، وتخلد مآثرهم في ذاكرة تاريخ الثورة التحريرية.

من أهداف هذه الدراسة التاريخية إحياء الذاكرة الثورية، وتمجيد ذكرى الشهداء والتعريف بمن لا قبور لهم، إضافة إلى ربط الصلة التاريخية بين الأجيال، وترسيخ ثقافة المواطنة بين النشء وأسلافه من الشهداء، مع إعادة بعث روح الشهداء وطنيا والإشادة بهم إعلاميا.

من النتائج المستقاة عبر تحرير هذه الدراسة إظهار الحقيقة التاريخية عبر الدليل المادي من رفاة الشهداء، مع كشف الحجاب عن بشاعة الجرائم الفرنسية اتجاه

الجزائريين، وتبيان الصورة الحقيقية للمستعمر والدارسين للتاريخ والباحثين فيه ومن مختلف جنسياتهم عن صور القمع وتشخيص مشهد الجرائم ضد الإنسانية في حق الشعب الجزائري.

الكلمات المفتاحية: الجرائم؛ الاعتقالات؛ التعذيب؛ المفقودين؛ المجازر؛ بدون قبور؛ الشهداء؛ الاستعمار الفرنسي؛ الثورة الجزائرية؛ سيدي بلعباس.

Abstract: *In the context of talking about the crimes of French colonialism against the Algerian people during the liberation war (1954-1962). I wanted to highlight a specific side of these crimes. Martyrs without graves in the region of Sidi BelAbbès is an extermination policy pursued by France, to compromise the revolution, drain its popularity and break the link between the mujahidin and the public people, to prevent necessary aid and spreading the news to them. So France hastened to behead every struggler and mujahid, arresting them without committing a crime, and without a fair trial. They are tortured and executed without an assigned grave, as a measure to break freedom.*

From known witnesses and places of martyrs, and others with unknown graves that history and time shall not forget, we seek to tribute their memory and immortalize the names of the ones without graves. Gathering their good bodies, souls and remains, by writing their names in musk and letters of light, to be recognizable by generations and immortalized in the history of revolution.

From the objectives of this historical study, is to revive the revolution's memory and glorifying martyrs and introducing those without graves, and linking history between generations and merging a culture of citizenship between the youth and their ancestors and praise the spirit of martyrs nationally and by the media.

Some results gotten from writing this study represents in: Proving the historical truth through physical evidence from remains of the martyrs. Revealing the ugliness of crimes committed by France against the Algerian case. Moreover, to show the true picture of the colonizer and researchers and historians from different nationalities suppressing scenes of human crimes against the Algerian people.

Keywords: Crimes; Arrests; Torture; the missing; Massacres; Without graves; Martyrs; French colonization; Algerian Revolution; sidi Bel Abbes

المقدمة: إن التاريخ والذاكرة عبر الأجيال لن تنس فضاعة جرائم فرنسا من تقتيل وإبادة للشعب الجزائري منذ أن وطئت أقدامه أرض الجزائر، على مدار قرن وربع، من حقبة إلى

مقاومة إلى أن جاء ميلاد موجة التحرير في الفاتح نوفمبر 1954 التي استهدفت تغيير الوضع السيئ للشعب الجزائري، إلى غاية الإعلان الرسمي عن الاستقلال.

ارتكبت فرنسا جرائم بالجزائر، واستمرت خلال الثورة الجزائرية، وتواصلت بشتى الأساليب بالقتل والتعذيب والتهجير والإبعاد والنفي والاعتقال والاضطهاد والاغتيال بدون محاكمة، وغيرها من الجرائم المرتكبة، هي حقيقة الاستعمار التي لا مناص للتعتيم التاريخي والإعلامي من ذكر حقيقتها، وما عاناه الشعب الجزائري من معاناة، والذي لم يدخر أي جهد في الدفاع عن حقوقه المسلوبة، وليفتك الاستقلال الوطني إلا ليضع حدا لقوافل الشهداء والوجود الاستعماري.

وحري التنويه به أن سيدي بلعباس تقع في القطاع الوهراني (الغرب الجزائري)، وهي المنطقة الخامسة من الولاية الخامسة أثناء الثورة، وكغيرها من المناطق والولايات عبر التراب الوطني لم تنجو من هذه الظاهرة الاستعمارية الفرنسية، وما سيدي بلعباس إلا عينة لمثل هذا النوع من الجرائم، جرائم لمجازر جماعية واغتيالات فردية دون التعريف بقبور أصحابها، وهذا بهدف قتل روح الثورة في نفوس المجاهدين وإبعادهم عنها.

بناء على ما تقدم كان لزاما عليّ طرح إشكالية أراها مناسبة لديناميكية الموضوع: من هم الشهداء بلا قبور المجهولة شواهد ذكراهم في منطقة سيدي بلعباس؟ وهل مسألة الشهداء بلا قبور تعتبر ضمن جرائم الحرب ضد الإنسانية؟

من أهداف هذه الدراسة المتواضعة تسليط الضوء على الزوايا المظلمة من جرائم فرنسا في حق الشعب الجزائري، ومنطقة سيدي بلعباس خصوصا، وتخليد كتابة أسماء هؤلاء الشهداء بلا قبور لتتعرف عليهم الأجيال المتعاقبة، وتروي مآثرهم في تاريخ الثورة التحريرية، هم شهداء بلا قبور من الجنسين، التحقوا وسجلوا ضمن قوائمها، ولم يعرف مكان دفنهم، ولكن ذاكرة التاريخ أحيت ذكراهم ولن تنساهم، ولا الأماكن التي أزهقت فيها أرواحهم، من أمثال بوخلدة عبد القادر، وبشير بويجرة دحو، ولعرباوي أحمد، وبوهند يحي، والقائمة تطول في العلبة السوداء للجرائم التي اقترفتها فرنسا ضد شعب صرخ "نعم للحرية لا للعبودية".

1- جرائم الجيش الفرنسي ضد سكان منطقة سيدي بلعباس خلال الثورة التحريرية: إن استحضار الماضي الاستعماري لفرنسا في الجزائر على مدى 132 سنة يعيد للأجيال ذاكرة

وصور القهر والقمع والإبادة التي مورست على الشعب الجزائري، وما نتج عنها من مظالم ومآسي تفنن من خلالها منظرو الفكر الاستعماري الفرنسي في صياغة منظومة قانونية متكاملة ذات طابع قمعي وزجري، وتسابق في تطبيقها السياسيون والعسكريون الفرنسيون ممن تداولوا الحكم على الجزائر، واعتمد مسؤولي فرنسا على القمع والبطش والتنكيل، مع إباحة المجازر الجماعية للسيطرة على الثورة، وجعلها جزء من أهداف الآلة العسكرية كوسيلة مباشرة ومثلى للحد من انتصارات الثورة الجزائرية المتتالية.[1]

إن الجرائم ضد الشعب الجزائري خلال الثورة التحريرية كثيرة ومتعددة في المكان والزمان، في مختلف القرى والمدن الجزائرية شرقا وغربا؛ شمالا وجنوبا، ومن هذه الجرائم أردتُ الإحاطة بجانب معين من تلك الجرائم، والتي يتمثل في شهداء بدون قبور أو المفقودين، ويعرف القانون الدولي الإنساني المفقود بأنه ذلك الشخص الذي اختفى وعائلته تجهل مكان وجوده، وحسب معلومات موثوق بها، أنه أصبح مفقودا بسبب نزاع حربي أو نزاع داخلي، فخلال الثورة الجزائرية انتشرت ظاهرة المفقودين الجزائريين من المناضلين أو المدنيين بشكل ملفت للانتباه عبر كامل التراب الوطني، وما تجرعته منطقة سيدي بلعباس إلا غيض من فيض من جميع الأفعال المرتكبة والتجاوزات التي ارتكبها السلطات الفرنسية في الجزائر، هذه هي حقيقة الاستعمار وما عاناه الشعب الجزائري الذي لم يدخر جهدا في الدفاع عن حقوقه المسلوبة، ولم يأت الاستقلال الوطني إلا ليضع حدا لقافلة الشهداء[2].

ونتيجة لاحتدام واشتداد وقع العمليات العسكرية التي قادها أشاوس رجال جيش التحرير الوطني في منطقة سيدي بلعباس، وأمام هذا الصد المنيع لجأت فرنسا إلى إنشاء مراكز للتعذيب[3] جعلتها بؤرا للقهر والاضطهاد لتطبق من خلالها أساليبها القمعية والوحشية بكل شراسة وعدوانية، واعتمدت أسلوب الاستنطاق كوسيلة لردع كل طاقة رافضة للتواجد الاستعماري، ولانتزاع الاعترافات كرها من الأشخاص الموقوفين من قبل أجهزة الأمن الفرنسية حقيقية كانت أم صورية، وكانت أغلب هذه المراكز تنشط في سرية متناهية ومحجوبة عن الأنظار الدولية ودون رقابة[4].

ورغم اختلاف مسمياتها من سجون ومعتقلات، إلى مراكز التعذيب، أوجدت كلها لهدف أسمى، هو إضعاف وإفشال الثورة التحريرية والسعي للنيل منها، وإلى تجفيف عقول ساساتها وقاداتها من الشحنة الثورية، ولكسر معنوياتهم النضالية بغية قطع وريد الصلة

الوطنية بين الثورة ومساندیها ومجاهديها، وبث سياسة الترويع والتخويف لاجتثاث شوكة العزيمة الثائرة لكن دون جدوى، فلا الرصاص ولا الحديد ثبطا من عزائم الرجال، فكان النصر حليفهم بعد معاناة وجهد جهيد.

لقد عهد الجيش الفرنسي منذ بداية الثورة التحريرية، وعقب كل هزيمة يتلقى من خلالها الضربات الموجعة من قبل الثوار عقب نهاية كل معركة أو اشتباك أو كمين، أن يسارع إلى القرى والمداشر ليصب جام غضبه على الدروع البشرية نساء، أطفالا وشيوخا، موجها لهم انتقامه اللاذع فيبيدهم تارة، ويسبي ويعذب وينتهك شرفهم تارة أخرى، مخلفا وراءه الرعب والهلع، فكان المستعمر يكن في نفسه الخوف والغل مجبولا فيه يرى في وجه كل مواطن أو مواطنة كبيرا كان أم صغيرا على أنه عدوا له حاملا البندقية لابد من تصفيته أو الانتقام منه[5].

أ- أسباب ووقائع المجزرة وأشكال التعذيب بدوار بني تالة شرق مدينة سفيزف بسيدي بلعباس: ارتكب العدو مجازر عدة ضد المدنيين العزل، منها ما وقع مساء يوم الاثنين 17 مارس 1957 أين قام ضباط الفيلق 129 بقيادة الكولونيل كاستيني (Castiny)، والنقيب مارث (Marthe) رئيس المركز العسكري لمزرعة بيران (Perrain) بعملية تمشيط واسعة النطاق حيث جرح من طرف المحافظ السياسي المختار السقاط المراحي، وعلى إثر ذلك قام الملازم لوفافر (Lefavre) بالانتقام من المدنيين العزل وكلهم فلاحين وعددهم عشرون (20) شخصا في مزرعة المعمر لافورق لوسيان (Laforgue Lucien)، وهذا بأمر من السفاح المقدم هول (Haul).

وعن الواقعة نورد شهادة حية للأجيال والتاريخ على لسان أحد المجاهدين الستة الذين نجوا من الموت، حيث يسرد المجاهد بتخيسي مخيسي قائلا: "زارتنا يوم الإثنين فصيلة من المجاهدين تتكون من 12 فردا بقيادة سي زغلول أين قضوا الليلة عندنا بالدوار؛ فقدمنا لهم العناية اللازمة والمساعدة الممكنة من أكل وشرب ولباس، وكل ما يحتاجونه من مستلزمات، وفي اليوم الموالي أي يوم الثلاثاء، وهو يوم السوق الأسبوعي لمدينة سفيزف، ذهبنا إلى التسوق لشراء بعض الحاجيات لتزويد المجاهدين بالمؤونة، وحين عودتنا إلى الدوار وجدنا المجاهدين قد تحولوا عن منزلنا إلى منزل بوسطلة لحسن، وبحلول الساعة الثانية ظهرا قدمت إلى الدوار فرقة من الجيش الفرنسي مدعومة بالدرك الفرنسي

في سرية تامة، وعلى رأسهم شانسين من المكتب الثاني، فباغتوا المكلف بالحراسة شايب الذراع عبد القادر الذي حين رأى دورية المستعمر فر هاربا دون أن يبلغ المجاهدين بقدومهم، فحاصر الجيش الفرنسي القرية، وبدأ في إطلاق النار الكثيف، فتبادل المجاهدون وعساكر العدو النار، فأصيب أحد ضباطهم من رتبة عقيد بجروح بليغة، واستشهد منا مجاهدين اثنين، وتمكن بقية المجاهدين من الانسحاب بأعجوبة إلى الغابة المجاورة للقرية.

بعد ذلك بدأ الجيش الفرنسي في مداهمة السكان، وإخراجهم من مساكنهم، وفي تلك اللحظة أمرني عسكري فرنسي بحمل أحد الشهداء فوق سيارة مصفحة، وبحلول الساعة الحادية عشر ليلا أخرجونا من ديارنا، ليذهبوا بنا إلى المعصرة الكبيرة للخمور التابعة للمعمر لافورق لوسيان، ثم أدخلنا في الزنفور- قبو لتركيز وتخمير المشروبات الكحولية- وبدأوا في تعذيبنا، ثم قاموا بتفتيشنا ونهبوا كل ما كنا نملكه من نقود وأشياء أخرى، وتركونا هناك بعدما أشعلوا لنا السجائر، ثم أغلقوا عنا كل الأبواب وجميع المنافذ لإعاقة التنفس، وفي يوم الأربعاء وعلى الساعة التاسعة صباحا، فتحوا الأبواب، فوجدونا نحن الستة فاقدين للوعي، أما البقية وعددهم عشرون فقد توفوا اختناقا"[6].

يضيف المجاهد بتخيسي مخيسي في شهادته قائلا: "إنهم أخذونا نحن الستة: رمضان الجيلالي، صارنو بن يحي، لقجع جلول، سايح بقدور، بولسيس حنيفي، ومحمد زياني بعد أن تأكدوا من نجاتنا إلى المكتب الثاني، ثم إلى مزرعة بيري أين تم استنطاقنا بوحشية، ليستمر هذا المسلسل كل أربعة أيام، ومكثنا هنالك مدة عشرين يوما تحت التعذيب الوحشي والاستنطاق، وفي الأخير تمّ إطلاق سراحنا"[7].

الشهداء العشرون- رحمهم الله- هم كالأتي: بوصطلة عبد القادر، بوصطلة المختار، بوصطلة العربي، بوسطلة محمد ولد أحمد، بوصطلة لحسن، قدوس محمد ولد الحاج، بن علي، وسيراس بن قدور ولد محمد، بلاحة ولد لخضر، بولسيس بغدادي ولد عيسى، بولسيس جلول ولد عيسى، سمون عيسى، سمون البودالي ولد عيسى، بن زيان العربي ولد جلول، صارنو محمد ولد يوسف، بورخيسي الحبيب ولد الطاهر، مروك محمد، كحلة لحسن علي، لحسن بن سهلة ولد العربي.

وخلال عملية التمشيط سابقة الذكر استشهد أيضا: قدوس علي (ولد قدوس محمد)- سيأتي الحديث عنهما في النموذج الخامس- جرموني محمد ولد عبد القادر، بودليل أحمد لحسن، المختار السقاط المراحي[8].

ب- مجازر الجيش الفرنسي بوادي سفيون شرق مدينة سيدي بلعباس: ارتكبت الفرقة العسكرية الفرنسية مجازر مروعة في حق المدنيين العزل هدفها بث وزرع الرعب، وانتهاج سياسة التخويف والحرب النفسية في نفوس الشعب الجزائري، فقامت كل من الفرقة (RI 129ème)، والفرقة الثانية بقيادة الكولونيل بيجار بجرائم حرب عن طريق حشر مائة وخمسين (150) شخصا داخل بئر بمزرعة المعمر كومي (COMY)، دون غذاء أو هواء، وتواصلت عمليات التعذيب الجماعي بإلقاء مائة وثلاثين (130) شخصا آخر داخل بئر بمزرعة كولي (COLY)، مع محو عائلتين عن الوجود، وحرمانهما من الحياة، وهما عائلتي سماعيلي المتكونة من 20 فردا، وبن عيسى المتكونة من 14 فردا[9].

ت- جرائم حرب بنواحي قرية تلموني بسيدي بلعباس: دون رحمة أو مراعاة للنفس البشرية الإنسانية وقعت كارثة أخرى أبطالها ضباط الفرقة الثالثة عشر (13ème DI) أين قاموا برمي المئات من المدنيين العزل في آبار مهجورة بحاسي مردوم بقرية تلموني وحاسي السنايسة، نذكر منهم: بن عبد الله ميمون ولد الحاج بوعلام، تومي ولد الشفار، جرود ولد حميدة، بومدين، بن ديدة بلعباس، بهلول عبد القادر، بويجرة دحو، بوقاسمية الجيلالي، سكران الحبيب، ويسي المكي، درار سعيد، مكي ولد الشيخ، آيت هني مزروق...، والقائمة طويلة لا تعد ولا تحصى من المخنوقين[10].

إلى جانب هذا الصورة البشعة لزبانية الجيش الفرنسي في حق السكان، سجل التاريخ في ذاكرته الحية التي لا تمحي أبدا للأجيال، شهداء آخرين عُذّبوا وتمّ رميهم بالعشرات في الآبار، وحولت هذه الحفر إلى مقابر جماعية يغطي بها المستعمر آثار جرائمه.

ويضيف المستعمر سوادا في سجله الحربي؛ ففي ببلدية تلموني أيضا وبالضبط عند دوار الحساسنة حوصر المجاهد سلاك الطاهر ولد قايد بمنزله من طرف الجيش الفرنسي التابع لفرقة (RI 129ème) ليؤسر، ويستنطق ويعذب، ثم يرمى به إلى كلاب الجيش لينهشوا لحمه حيا حتى الموت.

وبنواحي مدينة سيدي بلعباس عين تالة بسفيزف أُحرق الشهيد إملول أحمد ولد قادة حيا دون رحمة[11]، ونفس الجرائم ارتكبت بنواحي سيدي بلعباس ببلدية تنيرة، وشيطوان وابن باديس عشرون- 20 كيلومتر عن قرية رأس الماء[12]، كلها جرائم دفع فاتورتها هذا الشعب الأعزل الذي رفض العبودية والقهر. وبنواحي العونيات وعين تادميت سجل قتل جماعي في حق سكانها حيث بلغ عدد القتلى 40 شهيدا[13].

وآبار أخرى دفنت فيها رفاة أجساد الشهداء في كل من: حاسي أولاد بن عبد الله بالقرب من ترابل(Tramble)- رجم دموش حاليا- وحاسي أولاد ناصر[14]، وحاسي أولاد أمبارك[15] حيث كان اللفيف الأجنبي والخيالة التاسعة تحكمان مراكز متقدمة، وكلما كثرت الآبار كثرت الإعدامات غير الشرعية ودون محاكمة، وكثرت معها الجرائم ضد البشرية، وكثر أيضا معها نفي البشر اتجاه أرض المستعمر.

وبثكنة بودانس (Boudens)- بلدية بلعربي حاليا- أزهقت العديد من أرواح المجاهدين والقادة أمثال سي الفيصل محمودي الذي أسر وهو جريح ومبتور الذراع أثناء اشتباك وقع مع العدو، إذ بدلا من القيام بعلاجه أجهز عليه وقتل في قبو دون مراعاة للأعراف الدولية أو المعاهدات، وفي نفس الثكنة تمّ إعدام كل من الرقيب عبد النعيم معطي وسي منصور وجنان يحي.

وفي ليلة 14جانفي1957 اختطف بلعربي عبد القادر رفقة شقيقه الشيخ نظرا لمواقفهما البطولية والثورية ضد المحتل الفرنسي، وبدون محاكمة اغتيلا جنبا إلى جنب وغدرا من طرف ضباط تحت قيادة السفاح شوبان (Chuppin).

كما اقترف جنود اللفيف الأجنبي جريمة أخرى تقشعر لها الأبدان في حق أربعة أرواح أبيدت من خلالها عائلة ميرادي حرقا ودون مراعاة للأخلاق أو الرحمة، وواصلت الآلة الاستعمارية حصد الأرواح الشابة؛ فقد أحرق المجاهد قلال عبد القادر بالقرب من غابة دوار المهادة- بودانس سابقا- التابعة لبلدية بلعربي حاليا[16].

ومن أغرب الأحداث التي وقعت بمنطقة بوخنيفيس (Boukhanefis)- بوشبكة حاليا- وداخل سجن القصبة ما قام به الشهيد شويرف بوعلام حيث قام بقتل المسؤول عن السجن المسمى سانشاث (Sanchez) في صبيحة يوم من أيام سنة 1959؛ حيث شاء القدر أن تقع يد سي بوعلام على مسدس المسؤول تحت الفراش حين كان يقوم بحملة النظافة

المأمور بها، ومن هنا قرر البطل الانتقام من شانشاك بطلقة نارية أودته طريحا على الأرض، وعندها أعلنت حالة الطوارئ داخل السجن، وتم القبض على السجين، ويقول الشهود إن حراس السجن رموا البطل برصاصات أصابته بجروح، ثم حمل على مروحية لمكان مجهول ليرمى منها، ولم يعرف لحد الساعة مكان جثته[17].

وبالموازاة مع هذه العينة من سجل الجرائم ضد الإنسانية في حق سكان منطقة سيدي بلعباس، عكفت الآلة الاستعمارية إلى استئصال كل نبض وطني عن طريق اقتفاء آثار الثوريين والوطنيين بمساعدة الخونة والعملاء لتضييق الخناق عليهم، ومتابعتهم وتعذيبهم واغتيالهم ظنا منها أنها ستنجح في إجهاض أحلام التحرر لكن هيهات، فاهتمت بدراسة معمقة لفكر المجاهدين والسياسيين والوطنيين وغرضها الولوج إلى عقولهم، ومن بين هذه الشرائح نذكر على سبيل المثال لا الحصر رجالات رصعت دماؤهم صدر الحرية وشاحا ودرعا للوطن المفدى ومنهم:

- الأستاذ الشهيد سيد أحمد إنال الذي حوصر من طرف الجيش الفرنسي بمكتب القيادة في مركز تاجموت بالقرب من مولاي سليسن يوم 21 أكتوبر1956 بدار امبارك، وخلال اشتباك ضاري جرح الشهيد، فتم القبض عليه وأخذ سجينا، وبعد التعرف على هويته بدأ الاستجواب معه مباشرة، ثم سرعان ما تحول إلى استنطاق وتعذيب قاس، تحت إشراف النقيب فانسان (Vincent) من فرقة المشاة السابعة (7 Emeri) بأولاد ميمون، فصمد الشهيد دون أن يصرخ ألما، وعندما ارتبك الجلاد الضابط من أجوبة السجين وانبهر لصبره وتركيزه، بدأ بفقء عينيه، ثم رشّه بالبنزين، وتم حرقه حيا. وفي نفس المكان اغتيل النقيب فانسان من قبل الثوار بعد مُضيّ أربعة أشهر فقط بنواحي مولاي سليسن.

- كما تم سجن الأديب الحبيب بناسي محمد في 15 ديسمبر 1956 بالقرب من دوّار تابع لدائرة تلاغ بولاية سيدي بلعباس، وبعد إخضاعه للتعذيب الوحشي، وأمام صموده لم تفلح الآلة الاستعمارية في انتزاع الاعترافات، فقامت بحرقته حيا أمام الجمهور بسبب وطنيته الرافضة لتواجد العدو الفرنسي[18].

ونواصل سرد بعض الحالات من سجل الجرائم الفردية الشائعة والشنيعة في مدينة سيدي بلعباس في حق الشهداء كحالة لخضر بن صغير ولالوت بلعباس اللذين عذبا حتى الموت، وهما نموذج حي وصارخ لأبشع الجرائم الفردية والجماعية في أرجاء التراب الوطني،

وبمنطقة سيدي بلعباس كعينة؛ حيث كانا من مساندي الثورة- كل في مجاله- كتزويدها بالأدوية والأدوات الطبية والنقود، وبمساندة زوجات المجاهدين وأرامل والشهداء على حد سواء.

فالشهيد لخضر بن صغير أوقف نهاية سنة 1958، وحُوّل إلى متفنني التعذيب بمعمل المصبرات والزيوت لفارو على طريق معسكر لدى الفرقة العملاتية للحماية (Dispositif Opérationnel de Protection)، هؤلاء الجلادين مختصين في ممارسة التعذيب بصفة منظمة، وقد تم تكليفهم بهذه الطرق دون شفقة، يعاملون الأجساد كأنها جماد لا حياة فيه، وبعد أن تعرض الشهيد لكل أشكال التعذيب، كسرت رجله، وفقئت إحدى عينيه، ثم رمي بأحد آبار قرية تلموني لإخفاء الجثث[19].

إن سياسة الإبادة الفردية والجماعية التي انتهجتها فرنسا ضد الإطارات الجزائرية قاعدة أساسية في حربها ضد الجزائر، كان هدفها تجهيل الشعب، وتركته ينغمس في ظلمات الجهل دون تنوير ليسهل عليها استعباده؛ فقد سارعت إلى اقتطاف رأس كل مناضل أو مجاهد، أو كل من تظهر عليه علامات النبوغ التحرري، إلى توقيفه دون جريمة ومحاكمة عادلة، إلى تعذيبه والتنكيل به، وإبادته دون تخصيص قبر له لقهر عقيدة الحرية لديه.

وكمثال حي عن ذلك نذكر ما وقع للشهيد لالوت بلعباس الذي تم توقيفه بعد اعترافات تم الحصول عليها تحت ضغط التعذيب من زميله الشهيد سقال شعيب ليقر فوقف عنه التنكيل، فاعتقل وزُجّ به في ثكنة اللفيف الأجنبي بسيدي بلعباس؛ فأشرف الملازم دوغالدر (Degueladre) الذي يعرف بسجلّه الحالك كسفاح لرجالات الثورة المنضوي تحت منظمة الجيش السري (Organisation Armée Secrète) في الكومندوس دالتا، أدار رحى الاستجواب وحاول جاهدا أن ينتزع من الرجل الاعترافات دون جدوى متململا تارة في تلعثمه، وتارة أخرى يقشر أظافره من الغيظ؛ فعمد الجلاد إلى تعذيبه باستعمال الكهرباء في الأماكن الحساسة، إلى تعليقه رأسا على عقب، وبعد توالي موجة من مراحل العذاب المرير بصق عليه وضربه بأخمس البندقية ليهشم جمجمته، فلم ينكسر ولم يدلي بمعلومات للعدو عن مخططات الثورة، ولم يبح بأسرارها لتزهق روحه الطاهرة إلى بارئها[20].

وكان موعد آخر لتاريخ الثورة المجيد المتواصل في ضخ الدماء من قوافل الشهداء لتترعرع شجرة الحرية؛ فهذا أحد أعيان مدينة سيدي بلعباس وضحاياها الشهيد فرعون

محمد المدعو خالد، كان مستشارا بلديا، ونائب رئيس البلدية، تم اغتياله في أوت 1958 ببرودة أمام باب داره، لا لشيء سوى أنه وطني ثوري، وشديد المعارضة للانخراط في لجنة للإنقاذ العمومي، وقد تم توجيه أصابع الاتهام إلى اليد الحمراء، كما كان لقتله معنى سياسي، وفي اليوم الموالي وعقب موت والده التحق ابنه ميلود فرعون بالجبل حيث استشهد والسلاح بيده[21].

2- نماذج من شهداء بدون قبور:

1.2 الشهيد بوخلدة عبد القادر المكنى مختار: ولد الشهيد في العاشر من شهر جانفي 1940 بمارسي لاكومب (Marcie Lacombe)، دائرة سفيزف حاليا- بدوار بني تالة، لأبويه بلقاسم ورويس فاطمة، ترعرع في عائلة ميسورة الحال، متكونة من 5 أبناء وهم على التوالي: جلول، عباس، مختارية، فاطمة، العمورية، امتهن والده حرفة البناء.

انتقلت العائلة إلى مدينة سيدي بلعباس، والتحق الفتى بثانوية الحواس، ليتمدرس وعمره 12 سنة بها، ثم تحول إلى ثانوية عزة عبد القادر، اتصف الشهيد بالعصامية، فكان ملحا وفضوليا في طلب العلم، ذو ذكاء ثاقب ما جعله يلقى إعجابا من مدرسيه، كان محبا ومواظبا على التمرن في ممارسة الملاكمة بالبيت العائلي[22].

في سنة 1957 بكل حب وإرادة لبى نداء جبهة التحرير الوطني القاضي بدعوة الطلبة إلى الالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني، وعمره لا يتعدى 17 سنة، ليعين كاتبا في المنطقة الخامسة، وليتخذ من البيت العائلي نواة ومركز اتصال، إلى أن تم كشفه من قبل البوليس الفرنسي، وألقي عليه القبض، وأدخل سجن الخشبة بضواحي مدينة تلاغ، حيث منعت عائلته من زيارته، ليتم نقله إلى حمام بوحجر، راسل والديه من وراء القضبان وجدار التعذيب وسلب الحرية حاثا إياهم على الصبر، وداعيا إخوته إلى طلب العلم والصمود في حب الوطن.

كان ما يُحرره من رسائل يُراقَب من طرف إدارة السجن[23] قبل أن ترسل لعائلته، وبإلحاح مستمر تمكنت عائلته من زيارته بسجن حمام بوحجر، فأكد أخوه المسمى عباس أن الشهيد رغم ما سلط عليه من تعذيب جسدي ونفسي إلا أنه لم يعترف أمام جلاديه بانتمائه للثورة، فكان يؤمر بحفر قبره بيده، وثباتا على مواقفه الثورية، كان حراس السجن والجنود يسألونه مؤكدا أخوه عباس قائلا على لسان الشهيد: "ماذا ستفعل لو تم إطلاق

سراحك، فيجيب دون تردد بكل فخر وبعنفوان: سألتحق دون تأخير بإخواني في الجبل"، هي عبارات أضمرت في نفس الجند والحراس الحقد، فبيّتوا له مكيدة تصفيته، فأخذ يوم 30 أبريل 1959 إلى جبل بوحنش بحمام بوحجر، وتم قتله رميا بالرصاص دون التعريف بقبره لعائلته[24]، وأسدل الستار من قبل إدارة السجن لعائلة الشهيد مؤكدين لهم أن المسجون قد فر بمعية زمرة من رفقائه إلى وجهة مجهولة في رواية هزلية ينبذها العقل[25].

هيهات؛ فصفحات التاريخ وذاكرة الثورة والأجيال ستضل تشدو وتصدح بهامات الرجال، كيف لا وقد رصع اسمه شاهدا بالبنط العريض على منارة خط اسمه عليها تيمنا باسم بوخلدة عبد القادر ليحيا مرة أخرى بحي 506 مسكن بمدينة سفيزف مسقط رأسه.

2-2 الشهيد سي دحو بشير بويجرة المكنى سي الهبري[26]: ينحدر سي دحو من عائلة شريفة جذورها متأصلة في التاريخ، ومن أعرق العائلات الدينية الجزائرية؛ فهو سليل دور علم تعبق بترتيل القرآن الكريم، وتحفيظه للنشء من جيل لآخر.

كما تميزت عائلة بويجرة برمتها بالفروسية وبشجاعة أبنائها عبر مختلف حقب المقاومات الشعبية التي شهدتها الجزائر بدء من العثمانيين إلى مقاومة أولاد سيدي الشيخ، إلى مسنادة الأمير عبد القادر، والتي أذكت بأرواح أبنائها جذوة التحرر، وقدمت خيرة أبطالها شهداء.

فعائلة بويجرة كانت مزارا لطالبي العلم والمعرفة، منارة وصرحا علميا قصدها القاصي والداني، فلم تبخل بالعطاء، وسارعت إلى استكمال مسيرتها حينما تفجرت الثورة التحريرية المجيدة، وأنجبت الشهيد سي دحو المكنى عبد الواحد ثم سي الهبري.

ولد الشهيد في السادس عشر من شهر 16 ديسمبر 1916 بقرية الشرفاء، بنواحي مدينة سيق بولاية معسكر، لأبويه سي الطيب وسعدية بشير بويجرة، الذي تكفل بتلقينه ووعيه وتحفيظه القران الكريم قبل بلوغ 14 سنة من عمره، ولصقل مهارته وكسب معارف علمية أرسله والده في الأربعينيات بمعية خاله العلامة سي الحاج المنور إلى دمشق، ليعود لأرض الوطن ويتجه إلى مدينة سيدي بلعباس بغية دراسة الفقه، حينها انخرط الشاب في فرع جمعية العلماء المسلمين بالمدينة للنهل من مختلف المعارف، لتكون له ذخرا وزادا تمكنه من التدريس لاحقا[27].

ونظرا لأخلاقه الرفيعة وسيرته الطيبة، التي امتاز بها وهو في مرحلة اليفوع لا يتعدى العشرين سنة، اختير من طرف قاطني حي عبو ليكون عليهم إماما بالمسجد، ويسهر على تحفيظ القران الكريم لأبنائهم، وأوجدوا له درا لذلك، فاتخذها مسكنا وركنا للعلم.

أكسبه هذا العمل التطوعي مهابة ووقارا، وذاع صيته في المجتمع العباسي، فكان قبلة يحتذى بها، ومرجعية في أخذ المشورة والفتوى من قبل مختلف شرائح الساكنة؛ فنال الرفعة السامية الطيبة من سكان المدينة وما جاورها من البلديات والمدن الغربية، وكان مواظبا على تقديم وصلة من الدروس الدينية بالمدرسة القرآنية بالحي الشعبي- القرابة-، وكذا في مجال الفقه بنادي النجاح بمدينة سيدي بلعباس الذي يعتبر صرح الوعي الإصلاحي في إذكاء النزعة التحريرية، بتنشيط مشترك مع المجاهد العلامة الشيخ القباطي رحمه الله.

وفي خضم الحياة الاجتماعية، وتحت وطأة الاستعمار، لم يخلو في الخطاب الديني الأسلوب الثوري الحماسي الدافع لتعبئة الشباب، وحثهم على ركوب موجة الثورة التحريرية، الأسلوب المناهض للتواجد الفرنسي المحتل؛ كان الشهيد منخرطا في خلايا حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية منذ سنة 1953، إذ كان متحمسا للخدمة الوطنية الثورية.

لقي الشهيد كسائر الوطنيين تضييقا من قبل البوليس الفرنسي، وكان مراقبا، حيث حبس مرات عديدة، لكنه لم يتراجع أو يتخاذل أو ينكسر بل ازداد عزما وإيمانا على مواصلة العمل، إلى أن تفجرت الثورة التحريرية في الفاتح نوفمبر 1954.

وفي سنة 1956 اتصل الشهيد سي دحو بشير بويجرة بقيادة المنطقة الخامسة، ليتم تعيينه على رأس النظام السياسي الإداري الجهوي للناحية السابعة- القسم الثالث، ويكلف بجمع الاشتراكات وتوزيعها على عائلات المجاهدين، مع توطيد العلاقات الاجتماعية لتمهيد الطريق لتنظيم المسبلين، مع جمع المعلومات ونقلها للقيادة للكشف عن تحركات العدو، وتتبعهم لإجهاض مخططاتهم.

ولإيمانه القوي بالثورة، وإخلاصه لها كان بارعا في التنظيم، مقداما وكفـءًا في توليه وتنفيذ مهامه مما أكسبه الاحترافية، والانتصارات المتتالية لفائدة جيش التحرير الوطني عن طريق الاستغلال الأمثل للمعلومات المستقاة لضرب العدو الفرنسي، وشل حركة تقدمه، واحتلاله لأرض المعارك.

حيال هذا ألصق البوليس الفرنسي رقابة لصيقة على الشهيد من معاونيه من الخونة، نظرا للضربات الموجعة التي لقيها من جنود جيش التحرير الوطني، والتي أفضت إلى أن مهندسها هو الشهيد سي دحو الملقب سي الهبري، فكان موضع اهتمام بليغ، وسعى الاستعمار بكل الطرق وبقوة إلى تحطيمه، ولوشاية غادرة من أحد الخونة طوق بيته، وحوصر بمعية 17 مجاهدا، وبعد مضي أسبوع كامل ألقي على الجميع القبض، ليوجهوا تحت آلة التعذيب والقهر النفسي مدة تفوق أربعة أشهر من زنزانة لأخرى، ومن معتقل جهنمي لآخر دون أن يبوحوا بما يعرفونه من أسرار، وتجلدوا وصبروا على مختلف المكاره[28].

استشاط جلادو فرنسا غيظا؛ فألقوا بهم دون رحمة في بئر عميقة بنواحي تسالة بسيدي بلعباس، وهم يئنون جراء الجروح والكدمات، وهم عطشى وجياع، في برودة الماء وظلمة البئر، بقوا في قعره حتى فاضت أرواحهم إلى بارئها، واستشهدوا سنة 1958 لتخلد أسماؤهم في ذاكرة النشء والتاريخ.

فالتاريخ لا يتناسى أو ينسى تضحيات الأبطال، وما عانوه من ظلم وقهر لتحرير الوطن، وذكرى الرجال تخلد في رقيم سجل يشهده جيل الاستقلال؛ ففي سنة 1967 تمّ جمع رفاة الشهداء السبعة عشرة من غيابات البئر إلى نور مكلل بالورد في مربع الشهداء ليكرّموا، وتتوسم أرواحهم الطيبة بمقبرة مولاي عبد القادر بسيدي بلعباس[29]؛ فالجسد فان والروح باقية تصدح في التاريخ لتعبر عن مناقب وخصال رجال قالوا لبيك وطني روحي فداك.

3.2 الشهيد لعرباوي أحمد: أسوق في مقالي شهادة تاريخية عن عائلة لعرباوي أحمد التي عانت الأمرين: التعذيب والقتل، من مواليد 29 ماي 1924 بمارسي لاكومب (سفيزف حاليا) ابن الطيب وخيرة قداري، نشأ في عائلة فقيرة تتكون من ثلاثة أفراد: الوالدين وابنهما أحمد، حيث كان وحيد أمه وأبيه، سكنوا بحي روليوا سابقا- بقنيش أحمد حاليا، شارع عراس رقية بسفيزف، نشأ أميا ولم يلتحق بأية زاوية أو مدرسة ابتدائية إلا أنه كان يتكلم الإسبانية بحكم أنه كان يشتغل عند إسباني في مخبزة، كما أنه كان يشتغل في نقابة عمالية.

انضم بعد ذلك إلى حزب الشعب الجزائري، ثم الحزب الشيوعي الجزائري، وبعد مؤتمر الصومام التحق بصفوف جبهة التحرير الوطني، ألقي القبض عليه يوم 10مارس

1957 في حدود الساعة العاشرة صباحا، على يد الجنود الفرنسيين بمنطقة تدعى الفرعة الواقعة بين سفيزف وبوحنفية- أين أخذ عنوة، ومكبلا بالأصفاد إلى مركز التعذيب- المكتب الثاني-، ليتم تعذيبه واستنطاقه بغرض استخلاص معلومات أو أسرار عن المجاهدين دون جدوى، وبُعيد الظهيرة ما بين فترة العصر والمغرب أخذه العساكر نكاية فيه تحت إمرة شانسيث إلى منطقة تدعى غابة إسطنبول بنواحي مدينة بوحنيفية، وبكل وحشية قطعت أذناه وأنفه دون رحمة أو شفقة، ودون احترام للمواثيق والعهود الدولية، كمعاهدة جنيف حول احترام حقوق أسرى الحرب، ثم تمّ قتله رميا بالرصاص، لتفيض روحه الطاهرة طهر الوطن الحبيب، ويسقط شهيدا في ميدان الشرف، وعمره لم يتجاوز 29 عاما، فتحقق حلمه لأنه كان يتمنى الشهادة حيث يضيف المتحدث- نجل الشهيد- أن والده كان يقول لأمه بأنه يتمنى الموت قبل الإستقلال.

وقد أحضر الجلادون حوالي 25 شخصا من البلدة ليشهدوا واقعة الإعدام حتى يبثوا في أنفسهم الفزع والهوان، وليتداولوا الحادثة، ويتناقلوها في أوساط المجتمع، بيد أن مزاعم ورؤى المستعمر الفرنسي باءت بالفشل؛ فتحولت الحادثة إلى أسطورة في وسط سكان مدينة سفيزف بمنطقة سيدي بلعباس، إلى ملحمة وأغنية تترددها الألسن بترانيم نوتاتها عبق موشح بزغاريد الأمهات شاحذة بها الهمم والعزائم على تأكيد مواصلة الجهاد، إما نصر أو شهادة، وكان بين الحضور المجاهدان الشهيدان شباني عبد القادر ودكاني أحمد.

وفي سياق الشهادة التاريخية استرسل نجل الشهيد لعرباوي يحي، وردد سؤالا: "لماذا لم يحاول أحد من الحضور مساعدة والدي، وتخليصه من جنود الفرنسيين"، فقيل له: "بأنهم فضلوا تضحية رجل واحد بدلا من أن يقتل سكان منطقة إسطنبول بكاملها"، وهذه كانت سجية لصيقة ونزعة عدوانية انتقامية اتصف بها الاستعمار الفرنسي حينما يكون مذعورا من مجابهة الثوار إلى قيامه بإبادة جماعية للساكنة.

وبُعيد الاستقلال سعى ابن الشهيد جاهدا للعثور على قبر والده ولكن دون جدوى، فترك الحزن والأسى آثاره وتجاعيده كأثلام خطوط زرع مجذب لا يمحوها الزمن، فلم يبن للعائلة مكان دفن الجسد الطاهر أو مكان رفاة الجثة الطاهرة قط، بل تركت لوعة النوى على نفسياتهم آثارا وندوبا خدشتها أيادي الجلادين الفرنسيين، لا تمحى صارخة وشاهدة عبر التاريخ، ولا تضمحل ولا تطمس أبدا فهي جريمة حرب.

وعن الأسى وافت المنية والدته كبتا وحرقة من الشوق على فقدانها لابنها، ولا حتى أولاده يحي وماما والطيب نسوه، والأمر سيان لزوجته البالغة حينها آنذاك 23 عاما؛ فككل ليلة وعند حلول الساعة الصفر بعد حادثة الغدر والإعدام عاود الجلادون اغتصاب حرمة البيت العائلي بزيارات مفاجئة في شكل مداهمات لينغصوا عليهم العيش بسلام، فدون مراعاة للحياء العام أو الأخلاق والآداب العامة كان جنود فرنسا يجرودن العائلة صغيرا وكبيرا من تاج الوقار بخلع الملابس، وتحريش الكلاب البوليسية المدربة، لتخويف ونهش اللحم من جسد زوجة الشهيد أمام أنظار أولادها، دون احترام لحقوق الإنسان؛ فلم يحز في نفس المستعمر الغاشم ذلك أو يكل أو يتراجع عن أفعاله، وتصاعدت في الفناء قهقهات، وهم يتهكمون في هزل وسخرية ومرح السادية الاستعمارية، علّهم جراء هذا التذليل النفسي، الفوز ببوح كلمة تخرج من أفواههم عن الثورة لكن هيهات، صبرت العائلة الثورية متجلدة محتسبة عند الله الفرج والثواب، والتطلع ليوم أفضل باستقلال الوطن[30].

وبذلك التحق الشهيد لعرباوي أحمد، وسجلت روحه على صفحات التاريخ المنير المشرق، وفي قائمة قوافل الشهداء الأحياء من الذين لم يعرف مكان دفنهم، ولكن النشء وذاكرة التاريخ لمن تنساهم، ولا الأماكن التي أزهقت فيها أرواحهم؛ فهم شهداء بلا قبور.

2- 4 الشهيد بوهند يحي: ولد بوهند يحي بتاريخ 13 فبراير 1935 بمارسي لاكومب سابقا- دائرة سفيزف حاليا- لأبويه محمد وبوهند زينب (ابنة عمه)، نشأ وترعرع في عائلة فقيرة، فكان والده مستأجرا لمقهى يبيع فيها أكواب القهوة، وكان الشهيد يساعد والده على كسب لقمة العيش فيها.

تمدرس بمسقط رأسه في المرحلة الابتدائية التي وجه منها للحياة العملية نظرا لمقت الاستعمار، والنزعة العنصرية التي تميز بها بتفضيل بني جنسه على الأهالي. كان بوهند يحي شديد الحماس، يحز في نفسه الظلم والقهر الذي يفرضه المستعمر على السكان، مما ولد لديه الكره والبغض؛ فكان يخرج شحنة الظلم في أبناء المعمرين الأوروبيين، ويتركهم بالكدمات والخدوش جراء العراك والضرب المبرح الذي كانوا يتلقونه على يده؛ فيشتكي جيرانه والده منه.

توالت السنون، وشبّ الفتى، فتزوج حين بلوغه سن السابعة عشر ربيعا من بورطاش فاطمة، فأنجبت له أربعة أبناء هم: أحمد- زهرة- الطيب- زينب، وفي سنة 1957

انضم بوهند يحيى إلى صفوف جيش التحرير الوطني، وكانت مهمته الاتصال والتموين من أكل وملابس للمجاهدين.

كان نشاطه الثوري ما بين المنطقة الخامسة- سيدي بلعباس- والمنطقة السادسة- سعيدة ومعسكر-، وطريقة الاتصال التي كان يستعملها ليتفادى المراقبة هي امتطاء دراجة هوائية متجها نحو الغابة بغرض جلب حزمة حطب، مراوغا بذلك أنظار العدو.

نفذ الشهيد ثلاث عمليات فدائية تمثلت في زرع ثلاث قنابل: الأولى بمقهى المعمر الفرنسي لوندي موريس (L'ondé Maurice)، والثانية بمقر الدرك الوطني، والثالثة بمقر البلدية، وعلى إثر ذلك صار مطالبا من البوليس الفرنسي، وملاحقا من قبله، فصار بيته العائلي عرضة لمختلف المداهمات والتفتيش دون مراعاة لميقات أو سكينة ليله، تطؤه أقدام الجنود دون احترام أو تقدير، وتقلب زواياه رأسا على عقب.

حزّ في نفسه سوء معاملة المستعمر لعائلته؛ فتقدّم طوعا للدرك الفرنسي وسلم نفسه لتكون أسرته في منأى عن أي إذلال، وفي سنة 1958 اتجهت به الإدارة الفرنسية إلى المكتب الثاني، والمكان عبارة عن مزرعة مرسي للكولون، وهي مركز للتعذيب، نكل به ومنعت عائلته من زيارته، وبقي تحت طائلة التعذيب والقهر لقرابة الشهر بمعية زملائه الثوريين يعذبون في صهريج حديدي فارغ من الماء، ويقفل عليهم بإحكام تحت وطأة الشمس الحارة في شهر أوت.

وبعد أيام نقل بمعية رفيقين له على متن عربة عسكرية من نوع ج.م.س (Gmc) تحت أغطية تلفهم فيها بإحكام، وجلس عليهم الجنود، وتمّ أخذهم إلى دوار اللوايسة بنواحي واد المبطوح؛ ليتم قتلهم بالرصاص بمعية الشهيدين مروك محمد ومقداد دون ترك شواهد أو تعيين لقبورهم، وكان ذلك بتاريخ 1958/08/31. أين رُدم جسدين لشهيدين معا في قبر واحد، وشهيد آخر على حدى دون التعريف باسم الجثث على شواهد القبرين[31].

5.2 الشهيد قدوس محمد وابنه علي: قدوس محمد هو من الشهداء العشرين السالف ذكرهم، والذين تم رميهم في الآبار، واختنقوا بدوار بني تالة شرق مدينة سفيزف، الشهيد قدوس محمد من مواليد عام 1918 ابن حاج محمد ومكاوي بدرة، وابنه قدوس علي، وكما تمّت الإشارة إليه في حدوث هذه المجزرة والاغتيال، وانتقاما ونكاية من المجاهدين الذين تسللوا وهربوا نحو الغابة لتحميهم؛ فصبّ العسكر الفرنسي جمّ غضبه على المتعاطفين من

الثوار بسبب إيواء المجاهدين، وتزويدهم بكل ما يحتاجونه، ولشفاء غليلهم قبضوا على عشرين مدنيا، وأخذوهم إلى البئر الموجودة بشرق بلدية سفيزف ليتم رميهم فيها، فاستشهدوا جميعهم اختناقا وغرقا. وفي نفس الحادثة أيضا تمّ اغتيال ثلاثة مدنيين منهم قدوس علي.

أحدثت هذه المجزرة الشنعاء والجريمة النكراء أثرا في سكان المنطقة؛ فسارعوا في نفس اليوم إلى القيام بإخراج المختنقين، ودفنهم في المقبرة المجاورة، وتم دفنهم في قبر جماعي ماعدا قدوس محمد وشهيد آخر تم دفنهما في قبر واحد مع بعض[32].

الخاتمة: من الدراسة سالفة الذكر أستخلص جملة من الاستنتاجات وجب عليّ الوقوف عندها وتتمثل في:

1- عايشت منطقة سيدي بلعباس كغيرها من مناطق الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية مختلف مظاهر القمع والتقتيل، وما عينة الشهداء بلا قبور إلا غيض من فيض؛ فهي شريحة كبيرة من الشهداء ممن قدموا أرواحهم فدية لاستقلال الجزائر برهانا قاطعا على أن الجزائر ليست بالفرنسية، ولن ترضخ أبدا للهيمنة.

2- نعتبر أن كل صور المجازر الجماعية والاغتيالات ضد السكان المدنيين العزل وضد المجاهدين، ومنها صورة الشهداء بلا قبور، والتي كانت منتشرة عبر كامل التراب الوطني ومنطقة سيدي بلعباس على وجه الخصوص، والتي قام بها الجيش الفرنسي هي أعمال وحشية وانتهاكات يعاقب عليها القانون الدولي، من هؤلاء الشهداء أماكنهم وشواهدهم معروفة وأخرى مجهولة المدفن، لن يتجاهلهم الزمن ولا التاريخ، كان الاستعمار الفرنسي يهدف من خلالها إلى خنق كل صوت يؤمن بالثورة أو يحتضنها، وأصبحت كإستراتيجية ومنهجية لديه للحد من قوة الثورة.

3- نسعى من خلال هذه الورقة العلمية إلى تسليط الضوء على عينة من الشهداء غير المعروفة قبورهم لنحيي ذكراهم ونخلد إعادة كتابة أسمائهم ممن هم دون قبور، لتجمع أرواحهم ورفات أجسادهم لتتعرف عليهم الأجيال، وتخلد مآثرهم في ذاكرة تاريخ الثورة التحريرية.

4- دنّس الجيش الفرنسي حينما استعمر الجزائر، وارتكب جرائم لا تمت بأية صلة للمعاملات الإنسانية؛ فلا ضمير ولا قيم، ولا رحمة ولا أخلاق فيها، محاولا الانتقام من

الثورة والشعب، وساعيا إلى تحييده عنها؛ فأراد قتل روح الكفاح فيه، ولكن إرادة الشعب كانت أقوى، وإيمانه الراسخ بعدالة القضية الجزائرية عامل من عوامل الثبات والانتصار حتى كان النصر المبين يوم 5 جويلية 1962.

5- إن جرائم القمع والتعذيب المقترفة من السلطات الفرنسية في حق أرواح الشهداء كانت ممنهجة من طرف أكاديمية السياسة الاستعمارية ورجالاتها الاستخباراتية، ضاربة عرض الحائط جميع الأعراف والتقاليد والقوانين الدولية، وسماحة الأديان بحرمة الذات البشرية والمحافظة عليها، وعدم تدنيسها أو تشويهها، وعلى النقيض عمدت إلى استصدار قانون 23 فيفري 2005 الذي يمجد من خلاله الاستعمار جرائمه في الجزائر وشمال إفريقيا من قبل برلمانيها وساستها الرسميين، واعتباره فعلا رسميا، دون أن تراعى مشاعر الشعوب ولا حتى عواقب ذلك أمام محكمة الذاكرة التاريخية.

الملاحق:

الملحق رقم 01:

صورة الشهيد بوخلدة عبد القادر وملف مختلف وثائقه الشخصية والإدارية والتحاقه بجيش التحرير الوطني والرسائل التي كان يبعثها إلى أفراد أسرته وهو في سجن حمام بوحجر (33)

الملحق رقم 02:

صورة الشهيد بشير بويجرة دحو والمقال الذي صدر عنه من جريدة الجمهورية ونسخة من سجل أعضاء جيش التحرير الوطني والمنظمة المدنية لجهة التحرير الوطني.(34)

الملحق رقم 03:

نسخة من سجل أعضاء جيش التحرير الوطني والمنظمة المدنية لجهة التحرير الوطني للشهيد لعرباوي أحمد ومحضر قضائي رقم 239 حرر في 11مارس 1957 بعد أن ألقي القبض على الشهيد لعرباوي أحمد شهادة وفاته.(35)

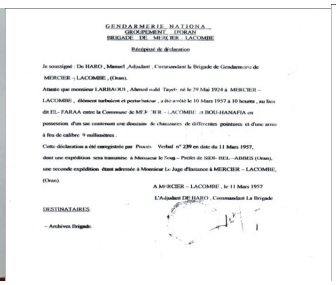

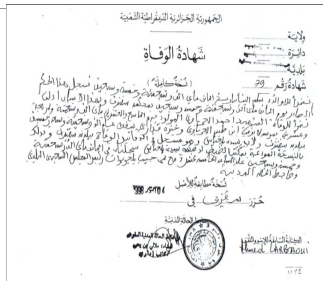

الملحق رقم 04:

شهادة ميلاد ووفاة الشهيد بوهند يحي ونسخة من سجل أعضاء جيش التحرير الوطني والمنظمة المدنية لجهة التحرير(36)

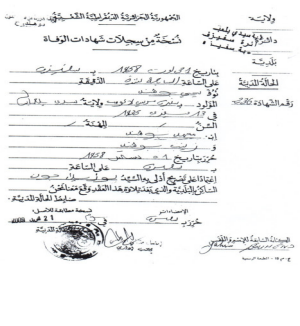

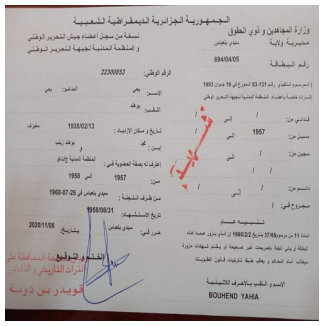

مجلة عصور الجديدة- فصلية مصنفة ج- المجلد 11- العدد 1 (مارس) 1442هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الملحق رقم 05: شهادة وفاة الشهيد قدوس محمد وابنه علي (37)

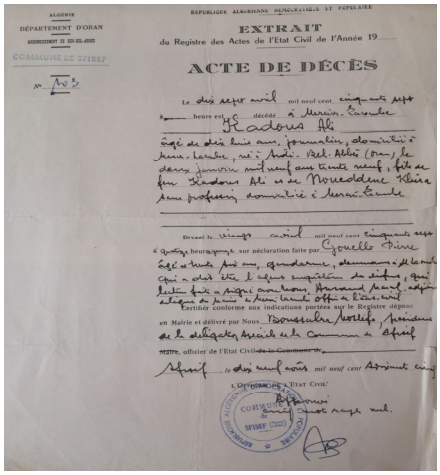

EXTRAIT
du Registre des Actes de l'État Civil de l'Année 19
ACTE DE DÉCÈS

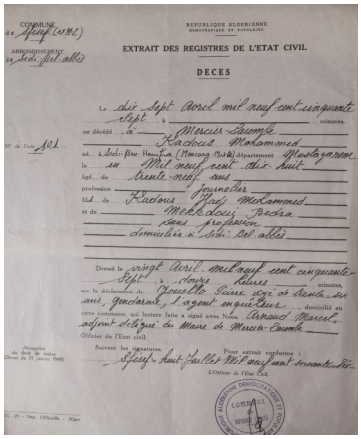

EXTRAIT DES REGISTRES DE L'ETAT CIVIL
DECES

صورة لمكان القبو ونصب تذكاري لقائمة الشهداء العشرون في مدينة سفيزف (38)

الهوامش:

1- بلغيت محمد الأمين، تاريخ الجزائر المعاصر- دراسات ووثائق-، الطبعة الثانية، 1428/ 2007م، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- بيروت، ص206.----2- زبير رشيد، ظاهرة المفقودين الجزائريين خلال الحرب التحريرية الجزائرية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 21 جانفي 2019، صص115-121.

3- مراكز التعذيب من سجون و معتقلات فالسجن هو بناء مخصص للفئات المنحرفة و يدخله كل من ارتكب جريمة أخلاقية أو مخالفة اقتصادية أو قتل نفسا، كما يدخل إليه بعض الأشخاص ذوي الاتجاهات السياسية المخالفة لاتجاه الحكم القائم في البلاد، والسجين لا يتمتع بحقوقه المدينة عقابا له لمدة م الزمن و يؤثر هذا العقاب في حياة المسجونين، أما المعتقل فهو مكان يجمع فيه الناس و تقيد فيه حريتهم و يساقون إليه نتيجة فوضى طارئة أو لثورة قائمة فهو على عكس السجناء لا يتعوضون للمحاكمة و يتعرضون فيه للعذاب النفسي لأنهم ليسوا مجرمين حتى يحاكموا،إذ يبقون مرهونين بحياة الحوادث الطارئة و تختلف حياتهم باختلاف الإدارة التي تسيرهم و لا يخضعون للباس معين كما في السجن و يتمتعون ببعض الحريات داخل المعتقل، فهو إذن رهن الظروف السياسية المحلية أو الدولية، أنظر: محمد الطاهر عزوي، "ذكريات المعتقلين"، منشورات المتحف الوطني للمجاهد،المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار،وحدة الطباعة بالرويبة،

الجزائر1996، ص ص (11-14) ولمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ينظر عسال نور الدين، سياسة التعذيب الاستعماري خلال الثورة الجزائرية 1962/1954، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف مجاود محمد، 2006/2005، صص24-35.

4- عابد بلعبدي، "السجون والمعتقلات والمحتشدات إبان الثورة التحريرية، المركز الوطني للدراسات، ص23.---- 5- محمد الصالح الصديق، **أيام خالدة مع الخالدين**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2007، ص202.----6- **مجلة أضواء التاريخية، سجل جرائم ضد الإنسانية في سفيزف**، عدد3، مديرية المجاهدين لولاية سيدي بلعباس، مصلحة المحافظة على التراث التاريخي والثقافي، صص11-12.

7- **نفسه**، صص11-12. ----8- علي نهاري، **من جرائم الجيش الفرنسي في بعض مناطق الولاية الخامسة خلال الثورة الجزائرية**، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ط1، صص14-16.----9- سيد أحمد بلبوري، **محطات تاريخية لناحية سيدي بلعباس إبان الثورة الجزائرية، الملتقى الوطني حول تاريخ منطقة سيدي بلعباس خلال الفترة الاستعمارية 1962/1830**،جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، صص141-149.----10- علي نهاري ،المرجع السابق، ص21.

11 - سيد أحمد بلبوري، "**محطات تاريخية لناحية سيدي بلعباس إبان الثورة الجزائرية**"،المرجع السابق، صص141-149.

12- بوعلام نجادي، "**الجلادون 1830-1962**"، ترجمة محمد المعراجي، منشورات ANEP، صص271،270، **أنظر الحصة** التي نشطها الأستاذ الباحث "بوعلام نجادي" بمقر إذاعة سيدي بلعباس حول جرائم فرنسا في منطقة سيدي بلعباس، بمناسبة إحياء ذكرى السادسة والأربعين لاسترجاع السيادة الوطنية.----13 - اللجنة الولائية للاحتفال بذكرى 37 لعيد النصر-تلاغ- **مديرية المجاهدين**، ص 19.

14- حاسي أولاد ناصر: **هو موقع للتقتيل الجماعي، يوجد على أرض فلاحية عرشية لفائدة قبيلة نواصرية بن عقبة، ويقع هذا الأثر التاريخي، داخل إقليم بلدية رجم دموش، دائرة رأس الماء، بمنطقة سهبية، تحده من الجنوب ولاية النعامة ومن الشرق بلديتي بئر الحمام و واد السبع، ومن الشمال، بلدية رأس الماء. هو عبارة عن بئر، لقب باسم الرجل الذي أشرف على حفره سنة 1945 وهو السيد "أمحمد بن ناصر" من قبيلة النواصرية وهذا بهدف استخراج المياه الصالحة للشرب. كان هذا البئر بمثابة منبع للتنمية ومصدر رزق الأهالي في تربية المواشي، نظرا لندرة المياه في المنطقة ويبلغ عمق المياه بداخله 04 أمتار. في سنة 1956 إكتشفه المستعمر الفرنسي، فلجأ إلى منع كل الموالين والفلاحين والمواطنين من استغلاله، ثم حوله إلى مكان للتعذيب أين كان يرمي المواطنين أحياء، معتمدا في ذلك على عمق البئر، حيث يموت كل من ربمي بداخله، دون اللجوء إلى قتله، فحول إلى مقبرة جماعية، حيث كانوا يقومون بزج السجناء الموجودين بمنطقة (لاصاص) رجم دموش، و"لصاص" رأس الماء وسجن (بوسوي) الضاية، ثم يرمهم داخل البئر أحياء. وحسب تصريحات بعض المواطنين، فان عدد رفات الشهداء المتواجدة داخل البئر تقدر بحوالي العشرات من الشهداء**، أرشيف بلدية رأس الماء.----**15 - نفسه.**

16 - Redouane AINAD TABET, « Histoire D'Algérie, Sidi Bel Abbés De La Colonisation A La Guerre De Libération En Zone 5 Wilaya V (1830-1962) », Avec La Collaboration De TAYEB NEHARI, Officier De L' A.L.N, ANP, Edition, Alger1999, p 300.

17- مقابلة حية مسجلة مع بودالية الطيب، التحق بالثورة عام 1959 كجندي ثم نائب مسؤول مركز مكلف بالاتصال بين الناحية الأولى والثانية في المنطقة الخامسة من الولاية الخامسة، يوم 13 ماي 2009، بمقر سكناه ببوخنفيس.

18 - Redouane AINAD TABET, Op.Cit, pp300 ,301.---- 19 - Ibid, p.292, 293.----20- Ibid, p 292.----21 - Ibid, p 302 .

22- شهادة حية (مقابلة مسجلة) مع شقيق الشهيد بوخلدة عباس معلم متقاعد بمنزله بمدينة سيدي بلعباس، يوم 2020./08/26

23- للرسائل التي كان يبعثها الشهيد إلى أفراد أسرته، وصورته وشهادة العضوية في جيش التحرير الوطني للشهيد، **أنظر إلى الملحق رقم 1.**

24- شهادة حية (مقابلة مسجلة) مع شقيق الشهيد بوخلدة عباس معلم متقاعد بمنزله بمدينة سيدي بلعباس، يوم 2020./08/26

25- صورة الشهيد وملف مختلف وثائقه الشخصية والإدارية والتحاقه بجيش التحرير الوطني، **أنظر إلى الملحق رقم 2.**

26- صورة الشهيد، **أنظر إلى الملحق رقم 3.**---- 27 - شهادة حية (مقابلة مسجلة) مع نجل الشهيد بشير بويجرة الطيب بمدينة وهران، يوم 2020/07/30.----28- وثائق شخصية تحصنا عليها من طرف أحد أقارب الشهيد بشير بويجرة السيد أحمد بداوي بشير بويجرة الساكن بمدينة سيدي بلعباس.----29 - ب. محمد، البطل سي دحو ورفاقه الـ 17 رموز البسالة ألقى بهم المستدمر في بئر عميقة بنواحي تسالة ونالوا الشهادة تحت تأثير الجوع والجروح، جريدة الجمهورية بتاريخ: الأربعاء 19 أوت 2020.

30 - كما أنه بعد اليوم الموالي لإلقاء القبض عليه بتاريخ 11 مارس 1957 حرر محضر قضائي كتب فيه أن لعرباوي أحمد يوم إلقاء القبض عليه كان بحوزته كيس فيه 12 جوز من الأحذية بمختلف المقاييس وسلاح ذو معيار9 ملمتر، حيث تم إرسال محضرين قضائيين آخرين أحدهما إلى رئيس دائرة سيدي بلعباس والثاني إلى قاضي بلدية مارسي لاكومب، شهادة حية (مقابلة مسجلة) مع نجل الشهيد لعرباوي يحي، بمدينة سيدي بلعباس يوم 2020/07/01.

31 شهادة حية (مقابلة مسجلة) مع نجل الشهيد، بوهند الطيب ببلدية سفيزف بمدينة سيدي بلعباس يوم 2020/06/15. **أنظر إلى الملحق رقم 4.**----32 - شهادة مقتطفة بتصريف عن قادوس بن ديدة (ابن الشهيد قدوس محمد) هو أيضا مجاهد وكان محافظ سياسي في القسم

السابع، الناحية الثالثة، المنطقة الخامسة-سيدي بلعباس- الولاية الخامسة، المدعو أثناء الثورة بشمس الدين، اشتغل بعد الاستقلال أمين عام الاتحادية لحزب جبهة التحرير الوطني 1963 وعضو اتحادية 1967 ومنسقها 1969، ونائب المحافظ للحزب من 1980 إلى 1989. شهادة يوم 2021/01/24 ببيته في وسط مدينة سيدي بلعباس.----33- **المصدر:** شهادة حية (مقابلة مسجلة) مع شقيق الشهيد بوخلدة عباس معلم متقاعد، بمنزله بمدينة سيدي بلعباس، يوم 2020/08/26 .----34- **المصدر:** جريدة الجمهورية بتاريخ: الأربعاء 19 أوت 2020.

35- وثائق تحصلنا عليها من طرف نجل الشهيد لعرباوي يحي، بتاريخ 2020/07/01، ومديرية المجاهدين لولاية سيدي بلعباس بتاريخ 2020/11/08.----36- المصدر: وثائق تحصلنا عليها من طرف نجل الشهيد السيد بوهند الطيب، بتاريخ 2020/06/15، ومديرية المجاهدين لولاية سيدي بلعباس بتاريخ 2020/11/08.----37- قادوس بن ديدة (ابن الشهيد قدوس محمد)، سلمت لنا يوم 2021/01/24.**----**8- المصدر: قمت بالتقاط هذه الصور بمدينة سفيزف يوم: 2021/01/25.